

Fiction Research Theses about the Intellectual Origin of the Novel “Nady Alsayarat” written by Alaa Al-Aswany Article Type: Research

Majid Bayati^{1*}, Ali Ganjian Khenari²

¹. Ph.D. in Arabic Language and Literature, Allameh Tabataba'i University, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, Iran, Tehran.

². Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Allameh Tabataba'i University, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, Iran, Tehran.

Abstract

All literary pieces have an origin and a starting point. The intellectual origin of a story is one of the influential factors in the process of producing literary pieces and their creation, so the formation of the created pieces is based on the intellectual and cognitive origin of the creators to the extent that the intellectual and cognitive origin causes tension between all the elements of the story. Researchers in contemporary research on fiction have found a word that has a strong connection with the concept of the intellectual origin of texts, which is "fiction theses" and means the creation of a story based on a research method to the extent that such stories, formed based on certain intellectual origins and cognitive principles, become known as "fiction theses" which are formed based on the logic of scientific research. The Egyptian writer Alaa Al-Aswany starts his novel called "Nady Alsayarat" from a main origin that has become the central core of the story and this core slowly spreads in the story and becomes the strategy of the story text which is found necessarily by discovering the intellectual origins that framed the story. In this novel, Al-Aswany has approached the social and psychological origins, so in this way, his story becomes a sociological research and a psychological thesis in which Al-Aswany seeks to investigate the social and psychological conditions of Egyptian citizens and the society in which they live. In this story, he intends to do this by recalling the historical past of Egypt and investigating the phenomenon of cars entering this country. Therefore, the thesis that the story seeks is to investigate human objectification and the psychological consequences of human colonization. Hence, this research attempted to investigate the novel based on the principles described in social psychology in order to examine Egyptian society from a social and psychological point of view.

Keywords: Fiction Theses, Intellectual Origin of the Text, Alaa Al-Aswany, Nady Alsayarat, Social Psychology.

* Corresponding Author

majidbayati62@gmail.com

رواية الأطروحة دراسة سوسيونفسية عن مرجعيات النص الروائي لنادي السيارات

علاء الأسواني

نوع المقالة: أصيلة

مجيد بياتي*، علي گنجيان خناري^٢

١. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، إيران، طهران.

٢. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائي، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، إيران، طهران.

تاريخ استلام البحث: ١٤٠١/٠٦/٠٧ تاريخ قبول البحث: ١٤٠١/١١/٠٣

الملخص

ينطلق كل عمل إنشائي أدبي من مركز ويتولد من رحم. فإن مرجعيات النص الروائي تعد من الأسباب المؤثرة في عملية إنشاء العمل الأدبي وخلقته ليتكون العمل الإبداعي وفقاً للمرجعيات المعرفية التي يستدعيها المبدع، حيث إنها تؤدي إلى تباطؤ مكونات العمل الأدبي. إن الدارس يجد في الدراسات الحديثة السردية مصطلحاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم مرجعيات النص وهو مصطلح رواية الأطروحة التي تعني إنشاء العمل الروائي وفقاً لبحث منهجي حيث تسمى الروايات التي تتكون وفقاً للمرجعيات المعينة النصية برواية الأطروحة التي تتم في إطار منطق البحث المنهجي القائم على التنظيم الدقيق. يبدأ علاء الأسواني روايته "نادي السيارات" من مركز أصلي يكون نواة مركزية للرواية حيث تتشعب هذه النواة في الرواية وتتحوّل إلى إستراتيجية النص الروائي التي تتطلب الكشف عنها عبر اكتشاف المرجعيات التي تطوّر الرواية. وقد بدأ الأسواني في سرد الرواية كأنه تمسك فيها بالمرجعيات الاجتماعية والنفسية لتكون الرواية دراسة اجتماعية وأطروحة نفسية يبحث فيها الأسواني المواطن المصري والمجتمع الذي يعيش فيه عبر استدعاء الماضي التاريخي ومناقشة ظاهرة دخول السيارة إلى مصر. فالأطروحة التي تبحث عنها رواية نادي السيارات هي تشيؤ الإنسان وما ينتج عنه من استغلال واستثمار له. فحاولت هذه الدراسة تحليل هذه الرواية لكونها نموذجاً صالحاً لتطبيق قضية رواية الأطروحة وفقاً لمبادئ السوسيونفسية وكشف الأطروحة التي تقوم عليها الرواية دراسة تحليلية-وصفية.

الكلمات الرئيسية: رواية الأطروحة، مرجعيات النص، علاء الأسواني، نادي السيارات، سوسيونفسية.

المقدمة

إن كل رواية تتمتع بعالمين: عالم في لها أو ما يسمى بالسرد وعالم آخر فكري إذ هو عالم تخيلي. فينطلق كل عمل روائي من مرتكز حيث يتسم بالطابع الفني (السردى) والطابع الفكري (التخيلي) وهذا الأخير هو الذي يوجه تشكيل مرجعية النص الروائي أو الأطروحة التي يعالجها العمل الروائي. إن الدارس يجد في الدراسات الحديثة السردية مصطلحاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم مرجعيات النص وهو مصطلح رواية الأطروحة التي تعني إنشاء العمل الروائي وفقاً لبحث منهجي حيث تسمى الروايات التي تتكون وفقاً للمرجعيات المعينة النصية برواية الأطروحة التي تتم في إطار منطق البحث المنهجي القائم على التنظيم الدقيق.

إذن فالكلام عن المرجعية النصية يقودنا إلى دراسة القيم والأفكار والمعارف والفضاءات والأفعال التي تتخلل النص الروائي وتؤطر السرد وفق معرفة خاصة ومنهج محدد يشكّلان أطروحة يحاول السارد معالجتها عبر نسق سردي.

ترصد رواية الأطروحة كالأطاريح العلمية لفكرة أو نزعة إنسانية تبغي تكريسها عبر نسق سردي متنامٍ يحققه الوهم الخاص للسارد. ويعني الوهم الخاص للمبدع أو الطابع الكاريزمي للعمل الروائي مناقشة عدة موضوعات ليظهر النص الروائي موضوعاً مفتوحة على دلالات متعددة ومتنوعة توحى أن الروائي يشتغل في بناء النص على مرجعية معينة. فيستنتج من الكلام السابق أن الوهم المرجعي هو ما يتكون لدن الروائي، ما يشير إليها في النص عبر السيميائيات المتغيرة حيث تنبني المرجعية النصية وفق خريطة فنية وجمالية تكون قابلة للتأويل إلى عالم ممكن ومحتمل انتقيت مكوناته من الأنساق الأدبية والاجتماعية والنفسية والثقافية والتاريخية التي يتسم بها المجتمع.

لقد واجه النقد الأدبي الرواية في العصر الحديث بمناهج مختلفة إذ أراد الكشف عن المعاني المبطنة في النص الروائي. ومن هذه المناهج الجديدة التي تمكننا من تفسير النص الروائي وتأويلها وكشف المرجعيات النصية التي قامت عليها الرواية المنهج السوسيونفسي.

ونستشف من خلال هذا الكلام أن علم النفس الاجتماعي يبحث عن سلوك الأفراد في إطار مواقفهم الاجتماعية والثقافية أي تأثر شخصيات الأفراد من خلال اتصاّهم الاجتماعي بالأفراد

الآخرين. فهي أي السوسيونفسية علم يهتم بدراسة الأفراد في مواقفهم الاجتماعية والثقافية. «فمن خلال التدريب والخبرة يتعلم عالم النفس الاجتماعي أن يرفع بصره عن الاهتمامات النفسية البحتة، وأن يشمل في منظوره المحيط الاجتماعي الذي يؤثر على تفكير الناس ومشاعرهم وسلوكهم وتفاعلاتهم.» (لامبرت، ١٩٩٣م: ١٥) فعبارة أخرى إن المؤثرات الاجتماعية تساهم في تشكيل شخصيات الأفراد. فلذلك يحاول علم النفس الاجتماعي وصف التأثيرات النفسية للاتصال الاجتماعي والعملية النفسية ليلتقي هذا الفرع من علم النفس باهتمامات أخرى مثل علم الاجتماع والتاريخ. فيحاول علماء السوسيونفسية أن يدركوا الأسباب التي تهيئ بالناس إلى فعلٍ ما أو دراسة أهم ماذا يقولون وكيف يفكرون، ثم يبحث هؤلاء العلماء عن السلوك الاجتماعي ويناقشون علاقاتنا الثنائية مع الآخرين لكي يفحصوا ذاتنا وأحاسيسنا عن أنفسنا.

أسئلة البحث

يتطلب البحث عن الرواية وفقاً للخطة التي حدّدها للكشف عن المعاني المبطنة في النص طرح بعض الأسئلة أهمها:

- ١- ما العلامات النصية التي تسهم في بناء المرجعية النصية؟
- ٢- ما المدخل الجمالي الذي يستعرض المرجعية النصية؟
- ٣- كيف يتعاطى النص مع النماذج؟

فرضيات البحث

١- تخضع قوانين تشكيل المرجعية النصية للرواية للمرجعية الاجتماعية والنفسية حيث تشبع النص بعلامات متنوعة منها استفتاح الرواية.

٢- إن الاستفتاح السردى فى الرواية هو مدخل جمالى يشير إلى مرجعيات اجتماعية ونفسية تتجلى فى العبارات والفضاء السردى الذى يحيط به ويسيطر على الشخصيات كنماذج لتطبيق مفاهيم اجتماعية ونفسية.

٣- إن الرواية تناقش القضية الفكرية التى يحاول الأسوانى تكرسها فى الرواية وتعالجها عبر أطروحة سوسيونفسية تجلّت فى إطار سردى.

خلفية البحث

ليست هناك دراسات نقدية محكمة عن الرواية المذكورة فى الأوساط العلمية الأدبية بل جلّ ما نراه هو دراسات شتى منشورة فى المواقع، حيث لا تخضع البحوث لمنهج نقدي بل كل ما نجده هو كلام متناثر تعريفى عن الرواية يحاول فيه الباحث استعراض الرواية.

أما بالنسبة لما اتبعنا فى دراسة الرواية كمنهج البحث أى الاعتماد على المنهج السوسيونفسى ثم تعريف رواية الأطروحة كنوع من أنواع الروايات الحديثة، فهناك قسمان من مصادر ومراجع هامة لا يستغنى الباحث عنها، ما يمكن اختزاله وفقاً للتصنيف التالى:

الأول: مراجع هامة عن رواية الأطروحة وفقاً لما يلى:

١- كتاب "مرجعيات النص الروائى" لعبد الرحمن التماره حيث ناقش الباحث فى هذا الكتاب معنى المرجعية النصية تنظيراً وتطبيقاً إذ يتحدث الكاتب عن أنواع المرجعيات وآلياتها وقوانينها من حيث التنظير ويناقش بعض المرجعيات التى تشكل النص مثل المرجعية السجنية والمرجعيات التاريخية والمرجعيات الرحلية وإلخ.

٢- كتاب "فضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود" لسعيد يقطين حيث يشير هذا الناقد إلى ظاهرة رواية الأطروحة فى الرواية العربية ويحدد رواية الأطروحة النسوية فيها.

الثانى: مراجع هامة عن منهج السوسيونفسية وفقاً لما يلى:

٣- كتاب "Essentials of Social Psychology" لميشال إي هوج وغراهام إم وان. وهو كتاب تنظيرى عن علم النفس الاجتماعى، إذ يتحدث الكاتبان عن السوسيونفسية ومقوماتها.

٤- كتاب "Principles of Social Psychology" للكاتب تشارلز ستونجر وهذا الكتاب نظري حيث ينتهج نهج الكتاب السابق، إذ حاول الكاتب تعريف السوسيونفسية وأسلوبها في تعاطيها مع المجتمع.

٥- كتاب "علم النفس الاجتماعي" وهو كتاب مترجم من الإنجليزية إلى العربية لوليم و. لامبرت وولاس إ. لامبرت ترجمته سلوى الملا وهو أيضاً كتاب نظري عن مبادئ السوسيونفسية، حيث يتجاذب الكاتبان الحديث عن مبادئ علم النفس الاجتماعي واهتماماته وكيفية إدراك الأحداث الاجتماعية وفقاً لهذه الرؤية ثم يناقش منزلة الفرد في المجتمع.

إذن تتميز هذه الدراسة بكونها بحثاً علمياً عن هذه الرواية إذ تطبق مبادئ علم النفس الاجتماعي (السوسيونفسية) لكشف العلامات الدالة في الرواية محاولةً منها لإثبات الأطروحة التي تقوم عليها الرواية ثم نقدها وفقاً لأسس النقد العلمي القويم.

الإطار النظري

لابد لنا في هذا الموقف من مناقشة الإطار النظري والمنهج الذي قام عليه البحث ألا وهما رواية الأطروحة والمنهج السوسيونفسي .

يؤكد حميد حمداني في كتابه المسمى بـ"في التنظير والممارسة" أن الرواية بحث منهجي ورؤيا شمولية وليست تلفيقاً اعتباطياً لفصول غير متماسكة وهذا الكلام يثبت أن مرجعية النص تتطلب تخطيطاً منهجياً ومعرفياً وتنظيماً. «مرجعية النص الروائي محتوي دلالي وموضوع محدد ساهمت عناصر سردية وخطابية وفنية في عرضه نصياً.» (التمارة، ٢٠١٣: ١٦)

ولقد اقترح كريزينسكي لتشبيد الرواية الحديثة، النمذجة المرجعية باعتبار نماذج تدخل بشكل متألف في إنتاج النص الروائي وهذه النمذجة تنقسم إلى قسمين: الأول نمذجة جمالية ونمذجة تناصية توزع على العالم السردى وفق منطق خاص (المصدر نفسه: ٥٩) فإن الروايات التي تتكون وفقاً

للمرجعيات المعينة النصية والنمذجات تسمى بروايات الأطروحة التي تتم وفق منطق البحث المنهجي القائم على التنظيم الدقيق.

ثم اقترح سعيد يقطين مصطلح رواية الأطروحة إذ طرحه في كتابه قضايا الرواية العربية الجديدة حيث يناقش رواية الأطروحة النسوية (يقطين، ٢٠١٢م: ١٩٧) وكما يبدو من مصطلح الأطروحة وفقاً لما يعرفه هيغل أنها اقتراح فكري يجسد رؤية محددة أو موقفاً معيناً، فيحاول الباحث فيها التعرض لقضية فكرية تشكل مشروعاً يثبت فيه الباحث أو يرفض.

أما مفهوم السوسيونفسية فيحيلنا إلى الأرضية التي انطلقنا فيها لتحليل رواية نادي السيارات حيث يشير المصطلح إلى مساءلة نص الرواية مساءلة سوسولوجية ونفسية؛ لأن البحث السائد وجد في رواية نادي السيارات لعلاء الأسواني أرضاً خصبة لهذا النوع من الدراسة عن الأدب السردي، حيث تحفل الرواية المذكورة بعلامات دالة تشير على أثر الجماعات على السلوك الفردي للشخصيات. فهذه الرواية تعد من نوع روايات الأطروحة التي يعالج فيها الأسواني أطاريح اجتماعية ونفسية لتكون رواية نادي السيارات دراسة سوسيونفسية عن المواطن المصري.

ف«السوسيونفسية هي فرع من علم النفس الذي يدرس سلوك الإنسان وأسبابه وتناججه وعمليته النفسية. قدّم دون ألبروت تعريفاً شائعاً للسوسيونفسية إذ يقول إنها تدرس دراسة علمية أفكار الإنسان وأحاسيسه وسلوكه الذي يظهر متأثراً بالاجتماع.» (Hogg, 2010: 12) ووفقاً للتعريف الذي يقدمه معهد سيلر الأمريكي إن السوسيونفسية هي دراسة علمية لأحاسيسنا وآرائنا وسلوكنا إزاء الآخرين وهي تسعى للكشف عن تأثير المجتمع على أفكارنا وتصرفاتنا (Stangor, 2011: 8)

نبذة عن حياة علاء الأسواني

ولد الروائي والكااتب المصري علاء الأسواني في القاهرة عام ١٩٥٧ وهو طبيب وناشط سياسي غادر بلاده بسبب مواقفه السياسية ضد الحكومة المصرية وهو يسكن حالياً في ألمانيا ويعمل لصحفي لدى

الصحف الألمانية. كتب علاء الأسواني روايات شهيرة أشهرها "عمارت يعقوبيان" و"شيكاغو". درس الأسواني طب الأسنان في القاهرة ثم انتقل إلى الولايات المتحدة لمواصلة دراسته في هذا الفرع ليحصل هناك على شهادة الماجستير. يحاول الأسواني في رواياته التسلل إلى نفس الإنسان ومعالجة سلوكه الاجتماعي كما فعل في رواية شيكاغو. فهو دائماً يسعى لانتحاء منحى نفسي واجتماعي في رواياته.

رواية نادي السيارات والعودة إلى الماضي التاريخي

أصدر علاء الأسواني رواية "نادي السيارات" عام ٢٠١٣م وتناول فيه موضوع حرية الإنسان وكرامته المسحوقه في فترة الاستعمار الإنجليزي في أربعينيات القرن الماضي، حيث أحكم الأجانب حكمهم في مفاصل الدولة المصرية. فيروي الأسواني كفاح الشعب المصري خاصة النخبة المثقفة ضد الاستعمار ومرترقته الذين لم يتوانوا عن اضطهاد المواطنين وإرقاة دمائهم.

تبدأ هذه الرواية بقصة اختراع السيارة، حيث يتناول الأسواني في رواية نادي السيارات تصنيع السيارة على يد كارل بنز، ثم دخوله في مصر على يد حفيد الخديوي إسماعيل وإنشاء نادي السيارات لتنظيم حركة المرور الذي يتأسسه مديره الإنجليزي مستر جيمس رايت. يحاول الأسواني في هذه الرواية مساءلة التاريخ المعاصر في مصر وطرح موضوعات تشمل التاريخ الراهن في هذه الدولة وتسعى الرواية لتحليل بعض الجوانب الاجتماعية والنفسية للإنسان المصري عبر الجنوح إلى ظروف العصر والبيئة والسياسة والثقافة.

هذا وقد لا تقترح الرواية حلولاً للمشاكل التي أصابت الشخصيات في تطور الأحداث ولكنها لم تتساهل في تهمة الأرضية لبيان بعض القضايا الاجتماعية والنفسية السائدة عليها. فيحاول الأسواني عبر أطروحة اجتماعية - نفسية الكشف عن العوامل التي تتحكم بالحياة الاجتماعية والنفسية للأشخاص ومعرفة الشعور والاشعور حتى تصعد الرواية شيئاً فشيئاً للكشف عن الجانب الخفي النفسي للأشخاص عبر التسلل في لاشعورهم.

تنطلق روايات علاء الأسواني من بؤرة مركزية وأطروحة رئيسة لتتفرع تلك البؤرة خلال السرد. يُسقط الأسواني المنهج النفسي في رواياته عبر الجنوح إلى القضايا الاجتماعية ويطوّع هذا المنهج في الكشف عن شخصية الإنسان. تشتمل القضايا النفسية والاجتماعية أو قُلْ الأطاريح السوسيونفسية التي يطرحها الأسواني في الرواية المذكورة على قضايا الأنا والآخر والباراسيكولوجي والجنس وتشبُّهُ الإنسان وغيرها لتكون رواية نادي السيارات تطبيقاً لمبادئ علم النفس الاجتماعي في نص إبداعي. فلذلك يعتمد الأسواني في هذه الرواية كحاله في رواياته الأخرى مثل "شيكاجو" على ظروف العصر والبيئة والثقافة والسياسة لإخراج الملامح السوسيونفسية في فضاء سردي تمثل كل شخصية في الرواية رمزاً للقضايا الاجتماعية والنفسية إذ يخلع الأسواني قسماً من أطروحته على الشخصيات لتخدم الرواية في نهاية المطاف القضية الفكرية أو النزعة الإنسانية التي جعلها غرضاً للرواية. فيمكن أن نقرّ أن الروايات التي يصدرها الأسواني تعتبر من النماذج المثلى لرواية الأطروحة التي يمكننا من النظرة إليها من خلال رؤى مختلفة حيث إن هذه الروايات هي دراسات اجتماعية وتاريخية ونفسية وأنتروبولوجية.

الأطروحة الاجتماعية - النفسية في رواية نادي السيارات

إن المرجعية النصية في رواية نادي السيارات تحتفي بنفس الإنسان والاجتماع المحيط به إضافة إلى المرجعية التاريخية التي تمسك بها الأسواني وأخضعها للنزعة الفكرية الشاملة في الرواية. لقد جنح علاء الأسواني في هذه الرواية إلى تبيين الحقيقة الاجتماعية والنفسية للمصريين. إذن فيمكن اعتبار هذه المرجعية النصية في الرواية مرجعية اجتماعية ونفسية (السوسيونفسية). فيتراءى لنا من خلال قراءة الرواية أن الأطروحة التي تبحث عنها رواية نادي السيارات هي تشبُّهُ الإنسان وعملية التنشئة الاجتماعية وأثر الجماعات على السلوك الفردي وما ينتج عنه من استغلال واستثمار عبر دراسة النفسية التي تحكم قبضتها على المجتمع المصري.

لقد تحولت قضية التشبُّهُ التي اهتمت بها السوسيونفسية إلى إحدى القضايا المدروسة في الدراسات الاجتماعية. فلم يكن الأسواني بمنأى عن هذا المفهوم الذي طرح في علم الاجتماع ليتعرض له في هذه الرواية عبر مراجعة الماضي التاريخي الذي يحيط بالمجتمع المصري. «لقد طرح جورج لوكاتش مصطلح

التشبيؤ متأثراً بماكس وبر وزيمل واستلهم خاصة من مفهوم التوثين الذي طرحه كارل ماركس. يرى ماركس أن السلع في النظام الرأسمالي يتسم بطابع سحري. اما المصطلح في الأدب فهو يعني أن التشبيؤ حلّ محلّ العلاقات المتقابلة بين الإنسان والأشياء بدل العلاقات الإنسانية.» (سجادي والآخرون، ١٤٠٠ش: ٨٨) فيرى مصطلح التشبيؤ أن الإنسان ينظر إلى نفسه من خلال رؤية "الآخر" أو يقيم نفسه كشيء وهكذا لا يعتني بذاته عناية لتتحول العلاقات بين الإنسان إلى العلاقات المماثلة بين الأشياء. فيمكن تسمية هذه الظاهرة بظاهرة «الاستغلال وصنمية البضاعة التي حولت الإنسان إلى كائن معترّب عن نوعه الإنساني.» (بن شريف، ٢٠١٧م: ٥١٠) فاعتبر هيغل «مصدر الاغتراب عالم الأفكار المجردة التي تتموضع في الواقع في شكل مؤسسات اجتماعية وسياسية واقتصادية.» (المصدر نفسه: ٥١١) إذن فينظر الأسواني إلى قضية تشبيؤ الإنسان من منظور هيغلي ويحاول مناقشة ظهور هذه الظاهرة في المجتمع المصري بعد إنشاء مؤسسة تنظّم مرور السيارات في مصر، إذ نرى تفشي تشبيؤ الإنسان أي تحول الإنسان إلى أشياء رخصية عبر مقاربات نصية سردية تتسم بطابع اجتماعي ونفسي ونجد أن المواطن المصري أصبح معترّباً بفعل هذه المؤسسة وتواجد العنصر الأجنبي داخل هذه الدولة في فترة الاستعمار ويصل الأمر إلى حدّ أن العلاقات الاجتماعية بين الناس تكتسب صورة العلاقات بين الأشياء لتنتهي هذه العلاقات التشبيئية إلى أزمات وكدمات نفسية في المصريين.

العلامات النصية وبناء المرجعيات

يتحقق الوجود السردى لرواية نادي السيارات وتظهر العلامات النصية والمرجعيات المعرفية والأطروحة التي ينوي الكاتب مناقشتها منذ الافتتاح السردى في فضاء معين يعيه الأسواني ويهتّم ببنائه عبر اللغة للإيجاء بالفكرة والموضوع أو لاستقطاب الأطروحة التي يريد معالجتها. لذلك يحتمل الأسواني الفضاء بمحمولة رؤيوية ذات دلالة ويجلب العلامات الدالة على مرجعيات محددة ترشد القارئ إلى تبني قراءة خاصة. تبدو الرواية منذ الافتتاح أنها تمثيل للفرضيات الاجتماعية والنفسية التي يطرحها علم الاجتماع

وعلم النفس حيث يستبطن النص الروائي شفرات وإسنادات واعية في مستهله عن النزعة التي يحاول تكريسها في الرواية ليكون الافتتاح حافلاً بإرهاصات مرجعيات النص. يبدأ افتتاح الرواية الذي يمكن تسميته بالافتتاح المعرفي أو الافتتاح المرجعي على النحو التالي:

«تفهمت زوجتي أنني أحتاج إلى العزلة.

تركت لها السيارة الكبيرة بالسائق لتقلتها مع الأولاد، قدت السيارة الصغيرة بنفسى إلى الشاليه الذي تملكه في الساحل الشمالي، ثلاث ساعات وأنا وحدي مع أفكاري وصوت أم كلثوم المنبعث من مسجل السيارة.. قبل أن أجتاز بوابة القرية دقق رجل الأمن في أوراقى.. أثناء الشتاء تشدد إدارة القرية إجراءات التأمين لمنع السرقات، لفحني هواء البحر البارد المنعش، كانت القرية خاوية تماما، بدت وكأنها مدينة مسحورة هجرها سكانها، الشاليهات مغلقة والشوارع خالية إلا من أعمدة النور، اجتزت ميدان القرية الرئيسي ثم عرجت على الشارع الذي يفضى إلى الشاليه، فجأة ظهرت سيارة يابانية حديثة يقودها رجل خمسيني وبجواره امرأة أربعينية جميلة.. مرت السيارة بجوارى فتطلعت إليهما.. هما عاشقان جاءا إلى القرية ليختليا بعيدا عن الأعين.. لا شك في ذلك، هذا الصفاء، هذا التورد، هذا الصمت المفعم بالحب صعب أن يحدث بين زوجين، وصلت إلى الشاليه.. فتحت الباب فأصدر صريرا عتيقا، اتبعت نصائح زوجتي بجذافيرها؛ بدأت بفتح النوافذ وتشغيل الثلاجة وإزالة الأغطية من على الأثاث.. أخذت حماما ساخنا ثم دخلت إلى حجرة النوم حيث أفرغت حقيبتي ووضعت ثيابي في الدولاب ثم أعددت جلستي في الصالة أمام الشرفة.

طلبت الأكل بالتليفون من المحل الوحيد الذي يعمل في الشتاء، أكلت بشهية؛ ربما بتأثير هواء البحر، أحسست برغبة لا تقاوم في النعاس، لما استيقظت كان الليل قد هبط، تطلعت من الشرفة، كانت القرية مظلمة وخاوية ما عدا شريطا طويلا من أعمدة الإضاءة، أحسست بوحشة ثم خطرت لي فكرة غريبة مقلقة: أنا الآن وحيد تماما على بعد مئات الكيلومترات من القاهرة، هل

يمكن أن يحدث شيء ما فجأة؟ أن تصيبي أزمة قلبية مثلا أو يهاجمني لصوص مسلحون... هل يمكن أن أكون بطالا لواحدة من الحوادث التي أقرأها في الجرائد؟» (الأسواني، ٢٠١٣: ٥)

أما الرواية فهي تبدأ بسرد قاصٍ يعزم على السفر إلى القرية للاستجمام في فضائها ولكنه يواجه هنالك مشاهد غريبة. يبرهن حديث هذا القاص (الراوي) على ما يهجس في باله ويدل على حالته النفسية المسيطرة عليه، ثم يتحدث القاص عن حادثة غامضة انتابت عواطفه ومشاعره، ما يفكر فيه ويشغل باله ويهجس على خاطره. يترب القاص دائما منذ دخوله إلى القرية حادثة ما تؤدي إلى قتله. فهذا السرد الذي اختاره الأسواني للافتتاح المعرفي أو لمناقشة أطروحته في الرواية يحرك مشاعر المتلقي ويُظهر أن سرد القاص الراوي الذي أصيب بشرود ذهني ويعاني من بعض الكدمات النفسية حافل بعلامات معرفية نصية لطرح أطروحة نفسية. فنجد أن الراوي يلتقي باثنتين من شخصيات روايته الجديدة التي انتهى من كتابتها أخيراً، إذ إنهما تظهران أمامه بعد أن نزل في منزله الواقع في قرية خالية مظلمة تبعد عن بيته في القاهرة ثلاث ساعات. وهاتان الشخصيتان (كامل همام وأخته صالحة) تطلبان من القاص سرد روايته وإنهاؤها حسب ما تقترحان؛ لأنهما أعلم وأدرى بالرواية من القاص الذي عبر عن أحاسيسهما من وجهة نظره الخاصة.

إن الجمل الأولى للمشهد الافتتاحي في الرواية جمل إيحائية تولد المعاني في ذهن القارئ. يصف الراوي منذ الجملة الأولى حالته النفسية الكئيبة ليولوج القارئ إلى عالمه الوهمي. يدلّ توظيف الجملة الأولى (تفهمت زوجتي أنني أحتاج إلى العزلة). مفصولاً عن سائر النص الافتتاحي على لحن الراوي والفضاء الذي يريد خلعه على الرواية. اتضح أثر هذا اللحن في الفقرات التالية وعلى الرؤية السردية حيث يخوض القارئ وحده في فضاء مرعب عبر الجمل المشحونة بالدلالة لتقوده رؤية الراوي إلى مشاهدة مشاهد الخوف والقلق والاكتئاب. يخضع الأسواني المكان كذلك لأطروحته النفسية حيث تنصّ بؤرة المكان في افتتاح الرواية على المفارقات الروحية التي يعيشها السارد التخيلي وتكشف عن تعلق الاضطرابات النفسية به عندما ينتقل القاص من ضجيج المدينة إلى هدوء القرية. فهذه المفارقة

المكانية بين المدينة والقرية أيضا مشحونة بدلالات نفسية تخدم أطروحة الرواية في صيرورة العمل السردي إلى مقارنة اجتماعية ونفسية.

فإننا نجد في الجملة الأولى دلالة واضحة على أننا في مواجهة رواية نفسية حيث يبحث السارد عن الانفراد والاستجمام ونجده يريد تغيير مسار حياته عبر السفر من المدينة إلى هدوء القرية. إن فكرة السفر من المدينة ومغادرتها إلى القرية كمكان هادئ هي البادرة الأولى التي تشير إلى حالات التناقض في الرواية؛ لأن السفر تخلص من الضجيج ولجوء إلى السكينة، ثم نرى أن الرواية تتكسد بعلامات اجتماعية كثيرة بعد طرح قضايا اجتماعية في افتتاح الرواية. إذن فإن المشهد الافتتاحي مشهد معرني مكثف جمع علامات نصية ونمذجات سردية ضخمة عن أطروحة الرواية.

يمكن مشاهدة أول أطروحة أو نمذجة نفسية في الرواية في هذا الافتتاح المرجعي، حيث يشير الأسواني عبر مثل شخصيتين من شخصيات الرواية أمام القاص في بيته إلى قضية تعدد الأكوان (Multiverse) التي تطرح في علم النفس. يعزز الراوي (القاص) النظرية النفسية الأولى خلال الرواية تمهيداً لإثبات القضايا الأخرى التي ترسمها الشخصيات أثناء الرواية لترسيخ السمة النفسية التي تهمين على النص. يروي القاص حالاته الذهنية بعد مثل اثنتين من شخصيات الرواية (كامل وصالحة) في منزله والتحاور الذي جرى بينهم إذ خرجا من منزل القاص إثر التلاسن الواقع بينهم:

«ظللت مذهولا لحظات ثم ألقيت بنفسي على المقعد القريب.. كنت مشوشاً تماماً؛ لا أعرف ماذا أفعل. أشعلت سيجارة.. يا الله.. ماذا يحدث ومن هؤلاء؟ هل هما محتالان أم مخبولان؟ مهما يكن من أمرهما فكيف عرفا أسماء شخصيات روايتي الجديدة التي لم يقرأها مخلوق سواي؟ هل يمكن فعلا أن تنبعث حياة حقيقية في شخصيات أدبية متخيلة؟ هناك علم كامل اسمه البارسيكولوجي يبحث في الظواهر الخارقة التي نعجز عن تفسيرها..» (الأسواني، ٢٠١٣: ١٤)

يتدارس الراوي في هذا الموقف أولى النظريات النفسية التي تتوغل في النص وهو نظرية تبحث عن ظواهر غير مألوفة وهذه النظرية هي نظرية التحليل البارسيكولوجي وكذلك وجود الأكوان المتعددة أو

الأكوان المتوازية. حيث تظهر أمامه شخصيتان من شخصيات الرواية في القرية. تقوم هذه النظرية أي الباراسيكولوجي على الاتصال التخاطري والإيحاء الذهني وترى أن هناك ظواهر لا تنسجم مع تصوراتنا وأحاسيسنا. فهناك كثير من المصطلحات التي يستعملها الباراسيكولوجيون نحو الاختراق والعقل الباطن أو الاتصال بالعقل الباطن لشخص آخر. يرى التحليل الباراسيكولوجي أنه «يوجد هناك ما هو قابل للتفسير بسبب حتميات معروفة حتى الآن وهناك ما هو غير قابل للتفسير بسبب حتميات غير معروفة إلى الآن» (شلتز، ٢٠١٠م: ٢١)

يناقش الراوي عبر استدعاء شخصيتين في هذا الموقف القضية الباراسيكولوجية ويمهد الأرضية لتكريس منظوره الذهني وتغيير وجهة النظر أثناء السرد أي أن الراوي يتناوب على ضمير الأنا والراوي العليم وهذه الإستراتيجية أي تغيير وجهة النظر السردية خلال الحكى تدلّ على أن الراوي ينوي إيحاء معنى جديد لتكون وجهة النظر في السرد متعددة، حيث يتناوب الراوي على ضمير الأنا والراوي العليم وانزياح الراوي إلى تغيير وجهة النظر من الداخل إلى خارج النص واستحضار الراوي العليم يجعل المتلقي يتحير ويتردد ويتابع القراءة لإدراك الفضاء المسيطر على الرواية وهذا السرد التناوبي يهدي القارئ من نقيض إلى نقيض آخر تصوره الشخصيات لكي يتجاوز الراوي عبر وجهة النظر المتعددة الحدود بين الخيال والواقع.

ويتضح من خلال قراءة الرواية أن وجهة النظر الداخلية المتمثلة بضمير الأنا في سرد شخصيتي كامل وصالحة تساعد الراوي على خلق فضاء نفسي وطرح قضايا نفسية واجتماعية عبر استدعاء الشخصيات حيث تعتبر هذه القضايا خريطة للرواية تساهم في تنامي الحكمة ورسم الشخصيات.

تعاطي النص مع النمذجات المطروحة الأخرى

يحاول الأسواني طرح القضايا النفسية عبر استدعاء الشخصيات الروائية حيث يناقش تأثير المؤثرات الاجتماعية على كل شخصية. إذن تعيش شخصيات الرواية في ظروف اجتماعية خاصة إذ تمثل هذه الشخصيات شريحة خاصة اجتماعية تعمل وفق المؤثرات الاجتماعية التي تجعل الأفراد ينتهج نمجاً

خاصاً ينبع من نفسيتهم. فيتحتّم علينا لدى دراسة الشخصيات أن ننظر إلى سلوكها من رؤية مبادئ علم النفس الاجتماعي إذ تظهر كل ردة فعل للشخصيات في الرواية تحت ضغوط اجتماعية وتنبع من ظروف نفسية خاصة أنتجتها هذه الظروف الاجتماعية ما يدعو إلى دراسة ردود الأفعال وفق لمبادئ علم النفس الاجتماعي.

شخصية محمود وأطروحة اشتهاه كبار السن

ومن هذه النمذجات السوسيونفسية الإشارة إلى ظاهرة الميل الجنسي إلى كبار السن. فإن شخصية محمود يمثل التوجه الجنسي تجاه المسنين ما يسمّى في التحليل النفسي «باشتهاه كبار السن والميل الجنسي إليهم». (زهران، لاتا: ٢٠٢)

اقتنع محمود (إحدى الشخصيات الرواية) بسخافة الدراسة ورأى أنّها بمثابة جمع المعلومات السقيمة التي لا جدوى لها في الحياة. فلذلك يقضي معظم أوقاته مع صديقه الحميم فوزي ابن علي حمامة وعائشة (من الشخصيات الأخرى في الرواية). أصيب محمود بصدمة بعد موت أبيه عبد العزيز وشعر بالخيبة بعد انتكاس حياة عائلته، ثم انقطع عن الدراسة بسبب فشله المتكرر وانخرط في سلك العاملين في نادي السيارات بدل أبيه الذي مات إثر ما تعرض له في النادي على يد الكو الذي كان يعتبر كبير العاملين فيه. عمل محمود في نادي السيارات بجانب عم مصطفى السائق العجوز الذي يوصل طلبات أعضاء نادي السيارات إلى بيوتهم، الذين معظمهم من الأجانب القاطنين في مصر. هذه الوظيفة جعلت محمود يتعرف إلى الأغنياء منهم السيدة الإنجليزية مدام خشاب التي تجاوزت الستين من عمرها. فمدام خشاب ألطف الزبائن بمحمود، تمنحه من البقشيش ما يسدّ مصاريفه إذ تنتهي هذه الظاهرة وتتطور العلاقة إلى علاقات جنسية حميمة تبدو البادرة الأولى لميل محمود الجنسي إلى كبار السن في هذا الوصف القصير لمدام خشاب، حيث تتطور العلاقة بين محمود ومدام خشاب إلى علاقات حميمة بعد عدة لقاءات جمعت بينه وبين مدام خشاب ولكن محمود لم يكتف بممارسة هذا الحب الممنوع في المجتمع المصري بل أقامت علاقة حميمة أخرى مع سيدة عجوزة ألمانية باسم داجمار؛ لأنها كانت أيضاً مثل مدام خشاب تصرف لمحمود نفقاتها وتوفر له ما يطلبه منها.

فهكذا أراد الأسواني أن يشير إلى الفقر والحرمان في المجتمع، ما من شأنه أن يجرّ الشباب إلى ظاهرة الجنوح والخروج عن الأعراف المعتادة والقوانين السائدة على المجتمع. فهو أراد أن يتعرض إلى قضية شائكة اجتماعية في قالب سردي وهو ظاهرة الفقر وحنوح الأحداث، حيث ربط بين الفقر والجنوح؛ لأن الفقر كمؤشر على الطبقات الاجتماعية في المجتمع هو من أسباب الفساد الاجتماعي الذي يورط الأحداث ويؤدي إلى ارتكاب ما فعلته هذه الشخصية في الرواية. فآثر الفقر والثرء كظاهرة اجتماعية في نفسية محمود وأفضى بمحمود إلى دخول علاقات محرمة والميل إلى كبار السن بغية اكتساب مال يغنيه وعائلته التي انتكست ظروفه الاقتصادية بعد موت من كان يتكفل معيشة الأسرة. فالأسباب الاجتماعية تساهم مباشرة في ارتكاب الجرائم إذ نرى محمود بعد إصابة برضوض نفسية إثر مشاهدة اختلاف الطبقات الاجتماعية خاصة الشريحة الأجنبية المتواجدة في البلاد يتورط في أفعال لا تحمد عقباها.

شخصية عائشة ومناهضة التابوهات الاجتماعية

ومن الشخصيات التي تتنفس في هذا الفضاء السردية هي شخصية عائشة زوجة علي حمادة. يحاول الأسواني صبغ هذه الشخصية وطلائها بلون من نظريات فرويد عن الحياة الجنسية وإظهار تأثيرها بالظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة على المجتمع فلا شك أن الأسباب الاجتماعية تلعب دوراً بارزاً في الحياة الزوجية. فالحياة الزوجية من القضايا الهامة التي يتناولها علم الاجتماع وعلماءه إذ تحولت هذه القضية من القضايا الشائكة لدى هذا العلم. فلم يتغافل الأسواني عن هذه الظاهرة الاجتماعية فحاول مناقشتها عبر رسم شخصية أنثوية في الرواية أي عائشة. فعائشة زوجة علي حمادة وأم فوزي صديق محمود هي امرأة ذكية تتفنن في فن الحياة وإغراء الزوج وتعلمها للنساء حولها؛ إذ إنها تتمتع بشعبية جارفة في الشارع وتشكّل نموذجاً للغواية الآتمة اللذيذة والحلاعة الفاحشة الحلاية.

فحاول الأسواني النيل من التابوهات الاجتماعية عبر رسم هذه الشخصية والتطرق إلى ظاهرة اجتماعية هامة عبر شخصية عائشة. فسعى الأسواني لطلي هذه الشخصية بلون من النظريات النفسية

التي طرحها فرويد عن الحياة الجنسية في عالم سردي يجمع بين عائشة وفرويد. فكان الجنس يعدّ خطأً أحمر أو (تابو) في عصر فرويد الذي ألف كتاباً عنه بعنوان "ثلاث مباحث في نظرية الجنس" إذا لم يكن من السهل الحديث عن الجنس في مجتمع محافظ آنذاك وكذلك تشبه عائشة من هذا الجانب فرويد حيث تعيش في المجتمع المصري المحافظ في تلك الفترة. تحاول عائشة تحطيم هذا التابو عبر عرض مسرحي بين النساء في الحي؛ لأن الظروف التي تحكي فيه عائشة حياتها الجنسية ترفض أي حديث عن الأسرار. تؤكد عائشة على أهمية الجنس بكلامها في الأوساط النسائية كما يؤكد فرويد على العنصر الجنسي في الحياة النفسية السوية والمرضية ويرى أن النظرية الجنسية نظرية ملفتة.

إن ما تتحدث عنه عائشة تتطابق تماماً مع أقوال فرويد عن الهدف الجنسي السوي «ما يعتبر الهدف الجنسي السوي هو اتحاد الأجزاء التناسلية في الجماع على نحو يفضي إلى حل التوتر الجنسي وإلى انطفاء الغريزة لحين من الزمن.» (فرويد، ١٩٨٣: ٢٦) يحمل حديث عائشة مع النساء ومجابتها للشباب في الحي المباحث التي يطرح فرويد في كتابه المذكور آنفاً عن تطور الحياة الجنسية ومراحلها وقصة عائشة تطبق سردي لما جاء في هذا الكتاب ليتحول هذا القسم من السرد إلى سيكولوجية الحياة الجنسية ودراسة تأثير الأسباب الاجتماعية فيها.

شخصية القاص المسافر (الراوي السردية) واعتزال المجتمع

يبدأ افتتاح الرواية بوصف القرية التي تثير الذعر والخوف في نفس المتلقي ويخلق القاص المسافر (الراوي السردية) جواً حافلاً بالرهبة عبر الكلمات الرامزة التي تلقي ظلالها على النص برمته. ينطلق سرد الراوي (شخصية القاص المسافر) من القرية وتجري الأحداث التمهيديّة فيها ويتحول المكان إلى مكون فاعل في السرد ومسرح لتطوير الأحداث ويسفر عن أثر نفسي على القارئ. يتضح هذا الأثر على القاص الذي هجر بيته الواقع في المدينة ليستقل بنفسه ويعتزل المجتمع، ثم يمتدّ أثره إلى العمل السردية ليكون ذلك الأثر، العمود الفقري للرواية. تتشكل الرؤى والبنى الذهنية المسيطرة على السرد داخل فضاء القرية الذي يتصل بتجارب الشخصيات؛ لأن المكان «يخضع لرؤية وتوجه المبدع، بكل ما يحمله النص من معانٍ ضمنية وصریحة.» (فاطمة الزهراء، ٢٠١٨م: ١٠٢)

ينقل الراوي (القاصّ المسافر) الذي أصيب بالقلق والاضطراب هواجسه وما طرأ عليه مع كامل وصالحه في تلك القرية. يتجاوز الراوي ذلك الفضاء الجغرافي وصولاً إلى الدلالات الذهنية للحيز وانعكاساتها الشعورية في السرد لتتطابق القرية مع الرؤية السردية ومشاعر الراوي. يبتّر الراوي القرية في الافتتاح كحيز مكاني تظهر فيه شخصيتان خياليتان وتنمو فيها الأحداث. تتحدد البنية الذهنية والنفسية للراوي والشخصيات في القرية وتتكون الأفعال فيها. فالنص السردى يتبع قيماً وأصولاً في الرواية كما أن القرية تشير إلى الالتزام بالقيم والأصول وتجنب الحرية. ولتأطير النص وقولته وإضفاء الهوية عليه تتحول القرية إلى بؤرة للأحداث التي تتبعثر في النص وتحمل مسؤولية عرض الأمور المخارقة وتصبح بؤرة مكانية للتعبير عن النفسيات.

فحاول الأسواني عبر رسم هذه الشخصية الإشارة إلى الضغوط الاجتماعية التي تقود الإنسان إلى الاعتزال ثم قصد وضع هذه الشخصية نموذجاً لمناقشة أطروحته السيونفسية أي دراسة نظرية تواجد العالم الموازي. فالقاص بعد دخوله إلى القرية ترى ان الشخصيتين تمثلان أمامه. فهذا السرد تفضي بنا إلى الاعتقاد بأن هناك عالم موازي لعالمنا.

شخصية مستر جيمس رايت وأطروحة الأنا والآخر

يسرد القاصّ المضطرب (الراوي السردى) قصة تصنيع السيارة على يد كارل بنز ليمهّد الأرضية لتفعيل دور هذا المكون في الرواية أي تفعيل دور العودة إلى الماضي التاريخي. يمكن أن نتساءل منذ انطلاق السرد ما هي العلاقة التي قصدها الأسواني عبر السرد التاريخي بين تصنيع السيارة وبين نادي السيارات والمجتمع المصري الذي يصفه السارد وكيف يؤثر هذا السرد في الفضاء السردى وتطوير الحكمة؟

تتلخص الإجابة في أن هذا الاستخدام المشحون بالدلالة للسيارة والعودة إلى التاريخ يشير إلى بعض الحقائق التاريخية مثل اختراع السيارة والطريقة التي سلكها كارل بنز لإخراج أول سيارة للركوب وهذه الواقعة التاريخية تبرهن على مضي الزمن لبلورة التجارب وتقويمها. يقيس القاصّ عندما ينتهي من سرد ما جرى لكارل بنز وزوجته في محاولته لتصنيع السيارة، العالم بعد اختراع السيارة بالمجتمع المصري

بعد دخول أول سيارة فيه وقيم مقارنة اجتماعية للمجتمع المصري ويحاول مناقشة المؤشرات الاجتماعية بعد دخول السيارة.

إن حكاية تصنيع السيارة ودخولها إلى دولة مصر تدلّ دلالة واضحة على المدة الزمنية التي تشكلت فيها مقومات مجتمع جديد توافرت فيه ركامات تلعب دوراً هاماً في بناء شخصية الأفراد في الرواية، ما أهاب بهم إلى إبداء ردود أفعال في مواقف شتى حسب هذه الركامات والتجارب المترسبة في أذهانهم وأدى إلى انتحاء السرد منحى اجتماعياً معيناً. فلذلك أحكمت هذه النفسيات قبضتها بسلوك الشخصيات نتيجة التطور الذي شهده المجتمع.

إن موتيف السيارة وتكرار هذه العلامة في البداية وسرد الماضي التاريخي المصري يمهد السرد ل طرح موضوع الأنا والآخر المتمثل في شخصية جيمس رايت، حيث ينظر المدير الإنجليزي لنادي السيارات إلى المواطن المصري بنظرة دونية ويظهر هذا الاعتقاد مرات عديدة في خطابه مع العاملين ورقية أم كامل وصالح بعد وفاة عبد العزيز همام. تظهر السمة العنصرية لشخصية جيمس رايت في حوار مع عشيقته أوديت فتال المدرّسة في الليسييه. فهي تناهض العنصرية والفاشية التي يعتنق بها رايت رغم كونها أجنبية وفرنسية تقطن مصر. فجرى حوار ساخن بين جيمس رايت وأوديت في إحدى الليالي حول العنصرية والفاشية والخسائر التي ألحقها الاستعمار البريطاني بمصر حيث رفضت أوديت مزاعم جيمس رايت عن الخدمات التي قدّمها الاستعمار للمصريين وتحديث البلاد، متهمّة الاستعمار بسرقة مصر ونهب مواردها.

شخصية الكوو قاسم وأطروحة الكبت الاجتماعي ونتائجه

تبدأ أحداث القصة في جو مظلم عندما يستهلّ شخصية القاص المسافر سرده وتستشري هذه الظلمة وغياب النور في ثنايا السرد. ينتاب تأثير اللون الأسود المنتشر في الرواية الروح ويؤدي إلى الملل النفسي وهذا يتطابق تماماً مع المشهد الكئيب الحالك الذي بدأ فيه الراوي سرده. والملاحظة الهامة هي أن الأحداث المصرية في الرواية تحدث في سواد الليل وغيبهب الظلمات كما بدأ السرد عند حلول الظلام.

وإضافة إلى دور الظلام واللون الأسود في تغطية الأحداث المصيرية في الرواية، يفضي استخدام الراوي لهذه الظاهرة إلى إعطاء السمة النفسية للفضاء السردي. يدلّ كذلك المشهد الأسود الذي فرض سيطرته على الرواية منذ البداية على التشوش الذهني الذي يسود قاطبة الناس في المجتمع المصري في تلك الحقبة التي يصطحبها الاضطهاد وعدم الاستقرار في كافة المجالات. يشير مفهوم التشوش الذهني إلى انخفاض مستوى الوعي إلى أن يصل الإنسان إلى حالة كأنه أغمي عليه فيها. فهناك التمام شامل بين استخدام موتيف الظلام وبين الجو الخانق المثير للريبة والرهبه والذي يسيطر على المشهد المصري آنذاك. يحاول الراوي عبر هذه التكرارات اللغوية الواعية أسر القارئ في جو مليء بالظلمة والرهبه وجّه إلى المتابعة وتشجيعه على الاستكشاف.

يشكل موتيف الظلام والسواد انساقياً معنوياً بين أجزاء الرواية ليساهم لون الأسود في خلق فضاء الارتباب والتردد والعدمية في الفضاء الذي تعيشه الشخصيات؛ لأن كل لون من الألوان يُحدث على الإنسان تأثيراً خاصاً و«يرتبط بمفهومات معينة ويملك دلالات خاصة.» (مختار عمر، ١٩٩٧م: ١٨٣) يؤثر كل لون في حالة الإنسان النفسية ويعبر عن انفعالاته نحو الفرح والحزن و... و«الأسود رمز الحزن والألم والموت، كما أنه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكنم ولكونه سلب اللون يدلّ على العدمية والفناء.» (نصدر نفسه: ١٨٦) وكذلك هو لون القوة و«مضاد لكل ألوان، يرتبط الأسود بالظلام الجوهري البدئي اللامتميز.» (عبيد، ٢٠١٣م: ٦٣) فهذا الاستخدام الواعي للون في السرد يتناغم تماماً مع الظروف المظلمة السائدة على المجتمع المصري في تلك الفترة التاريخية.

فشخصية قاسم محمد قاسم المعروف بالكوو يجمع كل دلالات لون الأسود. الكوو هو مسؤول الملابس في قصر الملك وهو أقدم شماسرجية القصر. فالكوو قاسم يمثل القوة وحبّ الاستيلاء في الرواية، الذي يحاول كل من كامل وعبد العزيز وعبدون كسر جيروته.

يفرض الكوو قاسم هيمنته على الأشخاص وزرع عيونه في كل مكان يرتاده عاملو نادي السيارات لتزويده بأخبارهم. فهو شخص شديد البطش، غليظ في تعامله مع العاملين، صاحب المكانة الراسخة في القصر الملكي، يستطيع أن يوغر صدر الملك ضد أي شخص يكرهه، يتمتع بخبرة عالية لمعرفة

حالات الملك النفسية. يركب الكوو سيارة كلاديلاك سوداء ويدخن سيجارة الكوي لفرض هيمنته على العاملين ونرى أن هذه السيارة السوداء تزيده مهابة في أعينهم. وظّف الكوو مساعداً اسمه حميد وهو أيضاً شاب أسود بدين له جسم مكتنز يتقن فن العقوبة.

فشخصية الكوو قاسم تمثل أحد القضايا النفسية التي تُعرف باسم "البارانويا" ويعني مصطلح البارانويا في علم النفس «الاضطراب العقلي النادر الذي ينمو بشكل تدريجي ثم يصير مزمناً ويتميز بنظام معقد يبدو داخلياً منطقياً ويتضمن هذات الاضطهاد والشك والارتياب فيسيء المريض فهم أية ملاحظة أو إشارة أو عمل يصدر عن الآخرين ويفسره على أنه إزدراء به ويدفعه ذلك إلى البحث عن أسلوب لتعويض ذلك فيتخيل أنه عظيم وأنه عليم بكل شيء.» (القشاعة، ٢٠١٩: ٧٩)

النتائج

نستخلص بعد قراءة الرواية والتدقيق في مكوناتها:

١- أن رواية نادي السيارات تقوم على أسس اجتماعية ونفسية وبعبارة أخرى إن الرواية تبني على أطروحات سوسولوجية ونفسية إذ تتحول الرواية إلى أطروحة لتنتهي في النهاية إلى ما يسمى بروايات الأطروحة التي تنظم وفق منهج وتنظيم فكري.

٢- فحاول الأسواني أن يجعل هذه الرواية أطروحة سوسيونفسية يدرس فيها المواطن المصري دراسة اجتماعية ونفسية عبر العودة إلى الماضي التاريخي إذ يبحث عن تأثير الظروف الاجتماعية على نفسية الإنسان ويدرس السلوك الفردي تحت المؤثرات الاجتماعية.

٣- يرجع الأسواني إلى مرجعيات اجتماعية ونفسية لإنشاء العمل الأدبي حيث يبدأ عمله منذ البداية وفقاً لهذه المرجعيات بحيث يكون افتتاح الرواية مقدمة لهذه الأطروحة السوسيونفسية تحتوي على الإرهصات الأولى لهذه المرجعيات وتشتمل على علامات نصية كثيرة تسلط الضوء على المنهج المتبع في الرواية. فيحتتم علينا الافتتاح لكونها مشتملة على العلامات النصية التي تشير إلى هذا البحث المنهجي القائم على معالجة القضايا الاجتماعية والنفسية أن نعتبره مدخلاً جالياً للكشف عما ينويه الأسواني. فيحتوي السرد منذ البداية على علامات نصية تدلّ دلالة واضحة على أطروحة الرواية مثل

السرد التاريخي لتصنيع الرواية واعتزال المجتمع وطرح قضية الأكوان المتعددة لتساهم هذه العلامات والرموز في بناء النص السردي.

المصادر

الف) الكتب

- الأسواني، علاء (٢٠١٣م)، نادي السيارات، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الشروق.
- التمارة، عبدالرحمن (٢٠١٣م)، مرجعيات بناء النص الروائي، الطبعة الأولى، عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
- زهران، حامد عبدالسلام (لاتا)، قاموس علم النفس، الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب.
- شلتتر، ألفرد (٢٠١٠م)، البارسيكولوجي والطب، ترجمة: قاسم مطر التميمي، الطبعة الأولى، بغداد: بيت الحكمة.
- عبيد، كلود (٢٠١٣م)، الألوان، الطبعة الأولى، بيروت: مجد.
- فرويد، زيغموند (١٩٨٣م)، ثلاث مباحث في نظرية الجنس، ترجمة: جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الطليعة.
- الفشاعلة، بديع عبد العزيز (٢٠١٩م)، المعاني مصطلحات علم النفس، الطبعة الأولى، فلسطين: نشر وتوزيع شركة السيكلوجي.
- مختار عمر، أحمد (١٩٩٧م)، اللغة واللون، الطبعة الثانية، القاهرة: عالم الكتب.
- و.لامبرت، ولیم و.لامبرت، ولاس (١٩٩٣م)، علم النفس الاجتماعي، ترجمة: سلوى الملا، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشروق.
- يقطين، سعيد (٢٠١٢م)، قضايا الرواية العربية الجديدة، الطبعة الأولى، الرباط: دار الأمان.

ب) المقالات

- بن شريف، بوعلام، (٢٠١٧م)، «مفهوم التشبؤ وأشكاله لدى هربرت ماركوز»، مجلة المفكر، العدد الثاني، المجلد ١، صص ٥٠٨-٥٥١.
- سجادی، سیده یاسمن وسجادی، منصوره، (١٤٠٠ش)، «مطالعه تطبیقی پوچی وشیء وارگی در دو رمان بیگانه اثر آلبرکامو و بوف کور اثر صادق هدایت»، پژوهش های ادبیات تطبیقی، العدد الثاني، المجلد ٩، صص ٨٨-١١٢.

ج) الرسائل والأطاريح

- فاطمة الزهراء، عجوج. (٢٠١٨م). *المكان في الرواية المغاربية المعاصرة*، بإشراف أ.د عقاق قادة، دراسة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة جيلالي ليابس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها.

د) المصادر الأجنبية

- hogg, Michael-M. Vaughan (2010), *Essentials of Social Psychology*, England: Pearson Education Limited.
- Stanger, Ch (2014), *Principles of Social Psychology*, America: University of Maryland.

References

- A) Books
- Arabic Books
- Al- aswany, A (2013), **Nadi Al-sayarat**, First edition, Cairo: Dar Al-shargh.
- Al- tamara, A. R (2013), **Marjaeiat Benaal- nas Al- revaei**, First edition, Oman: Dar Verd Al-jordaniat for Publication and Distribution.
- Zahran, H. A (N. D), **Qamos Elm Al-nafs**, First edition, Cario: Alam Al-kotob.
- Freud, S (1983), **Salas Mabahas fi Nazariat Al-jens**, Translated: Tarabishi, J, Second Edition, Beirut: Dar Al- taliat.
- Al-ghashaelat, B. A. A (2019), **Almaani Mostalahat Elm Al-nafs**, Palestine: Nashr va Tozi Sharekat Al-sicoloji.
- Abid, K (2013), **Alvan**, Beirut: Beit Al-hekmat.
- Mokhtar Omar, A (1997), **Al-loghat va Al-lon**, Second edition, Cario: Alam Al-kotob.
- Shetelter, A (2010), **Al-parsicoloji va Al-teb**, Translated: Al- tamimi, Gh. M, Baghdad: Bait Al-hekmat.
- W. Lambert, V., & E. Lambert, V (1993), **Elm Al-nafs Al-ejtemaei**, Translated: Solvi Almola, Cario: Dar Al-shargh.
- Yaktine, S (2012), **Ghazaia Al-revaiaat Al-arabiat Al-jadidat**, Rabat: Dar Al-oman.
- B) Theses
- Fatemat Al-zahra, A. (2018). *The Element of Place in the Contemporary Moroccan Novel*. A Research to Reach the Doctorate. Algeria: Djillali Liabes University.
- C) Articles
- Ben Sharif, B, (2017), "The concept of objectification and species in the eyes of Herbert Marcuse", **El-Mofaker**, No. 2, Vol. 1, pp. 508-551.

- Sajadi, S. Y., & Sajadi, M, (2021), "A Comparative Study of Absurdity and Objectification In Stranger by Albert Camus and Bouf-e-koor by Sadegh Hedayat", **Comparative Literature Research**, No. 2, Vol. 9, pp. 88-112.

تزهای داستانی پژوهشی درباره خاستگاه فکری رمان نادى السيارات نوشته علاء الاسوانى براساس اصول علم روان شناسى اجتماعى

نوع مقاله: پژوهشى

مجيد بیاتی*، على گنجیان خناری^۲

^۱ دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه علامه طباطبائی، دانشکده ادبیات فارسی و زبان‌های خارجی، ایران، تهران.
^۲ دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه علامه طباطبائی، دانشکده ادبیات فارسی و زبان‌های خارجی، ایران، تهران.

چکیده

همه آثار ادبی دارای یک خاستگاه و نقطه آغاز هستند. خاستگاه فکری داستان یکی از عوامل تاثیرگذار در فرآیند تولید آثار ادبی و آفرینش آن است تا شکل گیری آثار خلق شده براساس یک خاستگاه فکری و شناختی باشد که خالق آن اثر از آن بهره می‌برد تا جایی که این خاستگاه فکری و شناختی موجب کشش میان همه عناصر داستان گردد. پژوهشگران در پژوهش‌های معاصر درباره داستان واژه‌ای را بکار گرفته‌اند که پیوند محکمی با مفهوم خاستگاه فکری متن دارد که این واژه عبارت است از «تزه‌های داستانی» که به معنای آفرینش اثر داستانی براساس یک روش پژوهشی است تا جایی که چنین داستان‌هایی که بر اساس خاستگاه‌های فکری و اصول شناختی معین در متن شکل می‌گیرند به «تزه‌های داستانی» معروف شده‌اند که براساس منطق پژوهش علمی شکل گرفته است. علاء الاسوانی نویسنده مصری رمان خود با نام «نادی السيارات» را از یک خاستگاه اصلی آغاز می‌کند که تبدیل به هسته مرکزی داستان می‌شود و این هسته آهسته در داستان گسترش پیدا کرده و به راهبرد داستان تبدیل می‌شود که لازمه یافتن آن کشف خاستگاه‌های فکری است که چهارچوب‌بندی داستان را شکل داده است. الاسوانی در این رمان به خاستگاه‌های اجتماعی و روانی پرداخته است تا این‌گونه داستان وی به پژوهشی جامعه‌شناسانه و یک تز روان‌شناختی تبدیل شود که در آن وی به دنبال بررسی اوضاع اجتماعی و روانی شهروندان مصری و جامعه‌ای است که در آن زندگی می‌کنند. او در این داستان با فراخواندن گذشته تاریخی مصر و بررسی پدیده ورود خودرو به این کشور قصد انجام این کار را دارد.

بنابراین تزی که این داستان به دنبال آن است بررسی شیء وارگی انسان و نتایج روانی استعمار انسان است. از همین رو، این پژوهش تلاش کرده است تا براساس اصول مطرح شده در روان‌شناسی اجتماعی به بررسی این رمان پردازد تا این‌گونه تزی داستانی موجود در رمان که هدف آن بررسی جامعه مصر از نظر اجتماعی و روان‌شناسی است، در بوته نقد قرار گرفته باشد.

کلیدواژه‌ها: تزیهای داستانی، خاستگاه فکری متن، علاء الاسوانی، نادی السیارات، روان‌شناسی اجتماعی.